٤ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ محمد الاشموني

الشافعي

أصله من أشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية ، وقد أخبر انه من نسل أبي مدين التلمساني ، ولد سنة ١٦١٨ ، وحضر الى الأزهر لطلب العلم ، فتلقى عن القويسني ، والبولاقي ، والفضالي ، والأمير ، والباجوري ، والرصفي وغيرهم . وكان أكثر حضوره على البولاقي ، والباجوري ، واشتهر بالذكاء ، وجودة التعليق واتقان التحصيل ، الى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر من صغيرة وكبيرة ، وقرأ المطول ، وجمع الجوامع ، وكتب التفسير ، والحديث ، والعقائد وغيرها مرات بعذوبة منطق وحسن إلقاء ، ولم يؤلف كتباً وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات عن قراءته للعقائد النسفية ، وكذلك قيدوا عنه نحو ثلاثين كراسة حال قراءته لمختصر السعد ، وأخذ عنه كثيرون من كبار علماء الأزهر ، وعمر عمراً طويلاً حتى ألحق الأحداد بالأحفاد وصار جميع من بالأزهر إما تلاميذه أو ممن في طبقتهم ، وروى عنه ان الشيخ محمد الانبابي الذي كان شيخاً على الأزهر كان ممن تلقى عنه ، إلا أن الشيخ الانبابي كان ينكر ذلك .

ولم يعقب المترجم لأنه لم يتزوج قط ، وكان القائم بخدمته في داره أخت له وجارية سوداء وعبد اسمه محبوب تبناه وزوجه من الجارية ، وفتح له حانوتاً بالتريعة وصيره من التجار ، ثم وقف على الثلاثة داره التي كان يسكنها بالباطنية بالقرب من الأزهر .

ولم ينقطع عن التدريس والافادة إلا قبل موته ببضع سنوات لضعف أصابه من الكبر ، وأبطل حركته في آخر أيامه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع ذي القعدة سنة ١٣٢١ عن مائة سنة وثلاث سنوات ، وأمر الخديو بتجهيزه من الأوقاف الخيرية ، وأطلقوا منادين في الطرق للانباء بوفاته ، فساروا مثنى رافعين أصواتهم بالنعي واجتمع في صبيحة الوفاة الألوف من صنوف الناس لتشييع جنازته قيل انهم بلغوا نحو أربعين ألفاً ، وحضر أيضاً الوزير المبجل المراكشي وزير الحرب بالمغرب ، وكان مارّاً بمصر للحج وأحب أن تكون نفقة التجهيز والمأتم من عنده فأخبروه بأمر الخديو ، وتقدم شيخ الأزهر السيد علي البيلاوي للصلاة عليه بالأزهر ، وتلوا قبيل الصلاة مرثية من نظم الشيخ ابراهيم راضي مطلعها :

لا قلب للاسلام غير حزين فاليوم فيه انهدّ ركن الدين

ثم خرجوا بالجنازة الى القرافة ودفنوه في مقبرة الشيخ الانبابي وكان رحمه الله أنيس المحضر ، كثير الدعابة والمزاح مع الطلبة شديد الورع متصفاً بالزهد والتقشف وقلة الاحتفال برفاهة العيش اذا سار في الطريق توكأ على عصاه بيد ووضع الأخرى على كتف من يسايره ، لا سيما بعد علو السن وضعف القوة . حضر مرة احتفالا مما يقام لكسر السد أو المولد النبوي ، ورموا بالسهام النارية كعادتهم ، فتجاوز سهم منها مداه ووقع على الحاضرين ، فأصاب المترجم في احدى عينيه وذهب بها ، فرق له الخديو إذ ذاك ، ورتب له راتباً شهرياً علاوة على راتب الأزهر ، رحمه الله تعالى

الغازي احمد مختار باشا

ولد في بروسة من مدائن آسيا الصغرى شهر (سبتمبر سنة ١٨٣٧) وقدم الآستانة صغيراً ، فدخل للكتب الحربي العالي ، فنبغ من بين أقرانه ، ولم يخرج منه حتى نال رتبة قائمقام وحضر حرب القرم ، ثم انتظم في عداد أركان حرب السردار الأكرم عمر باشا حين حمل على الجبل الاسود سنة ١٨٦٠ واستاز بالبسالة خصوصاً في مضايق اوستروك ، وكوفي وقتئذ بترقيه رتبة ثم ما لبث أن عاد الى الآستانة عقب ابرام الصلح فجعل أستاذاً في الكتب الحربي . وفي سنة ١٨٦٦ جعله السلطان عبد العزيز مربياً لنجله البكر يوسف افندي عز الدين ، فرافقه الى ايطاليا وفرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، والنمسا فنال في أثناء ذلك وسام

(اللجيون دونور) وغيره من فرنسا وسواها ، وعاد الى الآستانة سنة ١٨٦٧ فجعل مأموراً لتحديد التخوم بين بلاد الدولة والجبل الاسود ، فرجحت بسببه كفة الأولى إذ أبقى فى حوزتها عدة مواقع حربية مهمة ، وقوبل عمله هذا بترقيته لرتبة أمير اللواء وجعله عضواً فى المجلس الحربى ، وفى ختام سنة ١٨٧٠ أرسل مع ضباط الجيش المرسل الى اليمن تحت إمرة رديف باشا ، فاستولى على مدينة يدى ، ونال رتبة فريق ، ثم أقيم مقام رديف باشا فى القيادة الكبرى لنقله والياً على الحجاز ، فتمكن من الفوز على أهل اليمن ، فرقى الى رتبة مشير وجعل والياً على اليمن . ثم لما رجع الى الآستانة أقيم وزيراً لوزارة النافعة فاستقال منها ثم جعل والياً لكريد ، ثم مشيراً للفيلق الثانى فى شومله سنة ١٨٧٣ ، ثم مشيراً للفيلق الرابع فى ارزروم سنة ١٨٧٤ ، ثم قائداً لجيش الهرسك بدلاً من رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ فحصن مواقعها ، وقاوم الثورة حتى عقدت الهدنة فى ختام سنة ١٨٧٦ فأعيد الى كريد والياً عليها ، ولكنه لم يبق بها شهراً واحداً حتى أمر بالذهاب الى ارزروم لقيادة الفيلق الرابع وحماية المواقع العثمانية عند حدود القوقاز . واشتهر بالفوز فى الوقائع الحربية مع الروسيا فى جهة قرص ، والكسندر ، وبول وغيرها ، خصوصاً بعسكر جديكلر فى شهر اغسطس سنة ١٨٧٧ حتى استحق لقب الغازى ، ولما قطع الغرانمدوق ميخائيل الصلات بين فرقته وسائر الجيوش العثمانية تمكن هو من النجاة ، ثم استدعى الى الآستانة فجعل ناظراً (للطوبخانة) وكان ذلك فى شهر افريل سنة ١٨٧٨ ، وبعد ذلك عين قائداً لجيش يانيا ، ثم والياً لكريد مرة ثالثة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ فتمكن من توطيد الأمن بها وألف بين أهلها المسلمين والمسيحيين فكتبوا عريضة رفعوها للباب العالى فى شهر اكتوبر سنة ١٨٧٨ بالثناء عليه وبعد ذلك أرسل الى البانيا لتنفيذ المعهدة البرلينية المتعلقة بها ، فدرخ الثائرين ، وعاد بعد حين الى الآستانة ولبث يقوم فيها بالمهام الجسيمة فى الجيش حتى أرسل الى مصر معتمداً عالياً .

الشيخ حسونة النواوى

الحنفى

هو حسونة بن عبد الله ، أصله من نواى ، قرية تابعة لملوى ، من أعمال أسيوط ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ولما ترعرع حضر الى الأزهر ، وتلقى به العلم على شيوخ وقته ، وكان حضوره الفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والمعقول على الشيخ محمد الانبابى والشيخ على بن خليل الأسيوطى . ثم درس به ، وأحيل عليه تدريس الفقه بمدرسة دار العلوم ومدرسة الادارة التى سميت بعد ذلك بمدرسة الحقوق ، ودرس آخر بمسجد محمد على بالقلعة فكان له من مجموع وظائف هذه الدروس ما حسن به حاله ، وألف فى أثناء ذلك كتابه « سلم المسترشدين فى الفقه الحنفى » لتلاميذ مدرسة الادارة ، ونال فى شهر شعبان سنة ١٣٠٢ كسوة التشريف من الدرجة الثانية .

ثم لما شرع الخديو عباس باشا الثانى فى أوائل توليته فى تحسين حال الأزهر ، واصلاح نظامه ، وطريقة التدريس فيه ، وابدال بعض الكتب التى تقرأ فيه بغيرها ، وادخال بعض العلوم فيه كالرياضيات ، وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها وذلك بسعى الشيخ محمد عبده وغيره رأى الساعون تعذر ذلك مع وجود الشيخ محمد الانبابى شيخاً عليه ، ولم يشأ الخديو عزله دفعاً للقيل والقال ، فألف مجلساً من العلماء ينظر فى شؤونه سمى بمجلس الادارة ، والتمس رئيساً له يعين على احداث النظام المطلوب فأشير عليه بالمترجم لما عهد فيه من الشهامة والصرامة ، وسعى له بعض كبار رجال الحكومة ممن سبق لهم التلقى عليه بمدرسة الادارة فأقيم رئيساً لهذا المجلس ، وأخذ فى الاستبداد بأمور الأزهر حتى انحصرت فيه كلياتها وجزئياتها ، وصار هو الشيخ فى باطن الأمر حتى فجر الشيخ محمد الانبابى ثم اعتلت صحته ، فاستقال فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ ، وأقيل فى ثانى المحرم سنة ١٣١٣ .

فجاءت استقالة الشيخ على وفق مأمولهم ، وأقيم المترجم شيخاً على الأزهر بدله ، فكانت توليته كالشجا فى حلوق أهله لأسباب

منها انهم يرون فيهم من هم أكبر سناً ، وأكثر علماً ، وأحق بالرئاسة عليهم منـه . ومنها انه جاء مؤيداً لادخال بعض العلوم المسماة عندهم بالجديدة كالحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما هي إلا علوم قديمة اشتغل بها المسلمون وألفوا فيها ، وكانت تدرس بالأزهر قبل انحطاطه ، وانما نفروا منها لطول عهدهم بها وحسبانها من علوم الافرنج ، وأنها ما أدخلت فيه إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها . ومنها انه تولى بعد الشيخ الانبابي المشهود له بالعلم والفضل والتقوى بين الخاصة والعامة بل لأنه كان سبباً في باطن الأمر على إرغامه على الاستقالة . ومنها اشتهاره بشيء من الشدة والجفاء في مخاطبة الناس ومعاملتهم مع ما داخله بعد التولية من الزهو والخيلاء ، وما كان يشيعه أعداؤه عنه من مماألته للانكليز على هدم أركان الدين بادخال العلوم الجديدة بالأزهر حتى كثرت القالة فيه ، ويعلم الله انه بريء مما يأفكون .

وحدثت في مدته حادثة الوباء التي امتنع فيها المجاورون بإغراء بعض متهوريهم من الخضوع لأوامر الحكومة ، واعتصموا بالأزهر ، وقاوموا رجال الشرطة ورموهم بالأحجار حتى أصيب محمد ماهر باشا محافظ القاهرة بحجر أدمى وجهه ، فأحيط بهم ورموا بالرصاص ، فجرح منهم من جرح ، ثم قبض عليهم وحكم على البعض بالسجن وعلى البعض بالنفي ، وأغلق رواق الشوام لأن أصل الحركة كانت منهم ، وهال الناس وقوع هذه الحادثة وانتصروا للمجاورين ، ووجدوا منها باباً للكلام في الشيخ ورميه بالضعف والتهاون في الدفاع عن حرمة المسجد والمحاماة عن أهله .

ثم لما توفي الشيخ محمد المهدي العباسي مفتي القطر سنة ١٣١٥ أضيف منصب الافتاء للمترجم فجمع له بينه وبين رئاسة الأزهر كما كان يجمع بينهما للشيخ العباسي أحياناً ، واستمر المترجم جامعاً للمنصبين وأكثر القلوب منصرفة عنه حتى وقع الخلاف الكبير بين جمال الدين افندي قاضي قضاة مصر وبين الحكومة أواخر سنة ١٣١٦ بشأن اصلاح المحاكم الشرعية واقتراح انتداب قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا في الحكم ، فلما عرض الاقتراح في مجلس شورى القوانين أبى قاضي القضاة قبوله ، وقام المترجم بنصرته وشد أزره ، وأراد رئيس النظار مصطفى فهمي باشا مناقشته فبدرت منه كلمات عدها الوزير مهينة له ، ولم يقتصر على ذلك بل أرغى وأزبد وخرج من المجلس مغضباً وهو يتلو قوله تعالى[1] ( )

وشاع بين الناس ما أقدم عليه فأكبروه منه وحمدوا موقفه فيه ، لا سيما وقد سرى الى الأذهان أن الحكومة تريد هدم الشريعة بهذا المشروع ، فانقلب ذمهم له مدحا ، وبغضهم محبة ، ولكنهم لم يغنوا عنه شيئاً لأن النظار أحفظهم ما واجه به رئيسهم وحرك ذلك ما كان في صدورهم منه يوم أرادوا منع الحج احتجاجاً بالوباء واستفتوه ليجعلوا فتواه عصا يتوكؤون عليها كلما أرادوا منع الحج وظنوا انه يوافقهم فأخلف ظنهم ، وأفتى بعدم جواز المنع فكانت حادثته مع الوزير من أحسن ما يتوصل به الى التخلص منه ، فشكوه الى الخديو وطلبوا منه عزله ، فاستدعاه يوم الثلاثاء ٦ المحرم سنة ١٣١٧ الى مصيفه بالاسكندرية ومعه القاضي وألان لهما القول وناقشهما في تعديل الاقتراح ، وتغيير ما يخالف الشرع منه ، فأصر القاضي على الامتناع ، وتكلم المترجم منتصراً له ، فقال في عرض كلامه إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتي في أكثر أحكامها ، ومهما يكن من التغيير في الاقتراح فانه لا يخرجه عن مخالفته للشرع لأن شرط تولية المفتي مفقود في قضاة الاستئناف ، ثم التفت الى القاضي وسأله هل هو مولى من الخليفة أم من الخديو ؟ فقال من الخليفة ، فقال إذن يجب إذن القاضي لمن يريد مولانا الخديو اشراكه معه ولو كان أهلاً ثم انصرفا . وكان كلام المترجم فيه شيء من الشدة تألم منها الخديو قال لرأي نظاره فيه ، ولكنه أسرها في نفسه حتى حسم نازلة القاضي بالحسنى ، ثم أصدر أمره يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ بفصله من الأزهر والافتاء ، واقامة ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي شيخاً على الأزهر ، والشيخ محمد عبده المستشار بالاستئناف الأهلي مفتياً للقطر ، بعد ما انتقل من مذهب الامام مالك لمذهب الامام الأعظم أبي حنيفة .

ولما أشيع الأمر كثرت وفود العلماء والوجهاء على دار المترجم

(١) نسي الأستاذ أن يثبت الآية في الأصل

وانطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه وتعلقت به القلوب ، وأقبل الناس عليه أى إقبال ، وتحققوا ان ما كانوا يتهمونه به من قبل لم يكن إلا عن بحض توهم . والحقيقة ان الرجل وان لم يبلغ شأو طبقته فى العلم لم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد من الرشي لولا جفاء يبدر بعض الأحيان فى منطقه ، وشدة فيه يراها بعض الناس غلظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصاً مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة .

ولم يزل المترجم عاكفاً فى داره ، مقبلاً على شأنه ، وحببت اليه العزلة فابتنى داراً بجهة القبة انتقل اليها وسكنها ، ولم يقم ابن عمه فى الأزهر طويلاً بل توفى فجأة بعد نحو شهر من ولايته سنة ١٣١٧ ، فولى على الأزهر الشيخ سليم مطر البشرى المالكي ثم استقال فأقيل يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو اعادة المترجم أو تولية الشيخ محمد بخيت فلم يوافق النظار وتولى الشيخ على بن محمد البيلاوى المالكى نقيب الأشراف على الأزهر ثم استقال يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه ، وصدر الأمر العالى يوم الأحد ١٣ منه باقامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى ثم استقال فأقيل بأمر صدر يوم الاربعاء ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٤ وصدر أمر آخر فى ذلك اليوم باعادة المترجم شيخاً على الأزهر وهى توليته الثانية ، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً بسبب اختلال الأحوال ، ونزوع المجاورين للفتن ، وذهاب هيبة المشايخ ، فاستقال سنة ١٣٢٧ ورتب للشيخ الشربيني ١٥ ديناراً مصرياً فى الشهر من الأوقاف الخيرية ليكمل مرتبه ٢٥ ديناراً .

وأعيد الى الأزهر الشيخ سليم البشرى ، ولزم المترجم داره التى بالقبة يزوره محبوه ويزورهم ، ونال فى توليته الأولى الوسام المجيدى من الدرجة الثانية ، وجعل حينذاك عضواً من الأعضاء الدائمين بمجلس شورى القوانين ومن شرط هؤلاء الأعضاء انهم لا يعزلون ، ولهذا بقى المترجم به بعد عزله من الأزهر والافتاء ، حتى ألغى المجلس واستعيض عنه بالجمعية التشريعية سنة ١٣٣٢ فانفصل عنه بحكم الالغاء .

وظل مقيما فى داره التى بالقبة فى عزلة على الناس الى آخر حياته ، وقد أصيب بأمراض ووهن فى القوى وضعف فى النظر حتى توفى صباح يوم الأحد ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣ ، ودفن فى العصر بالمجاورين تغمده الله برحمته .